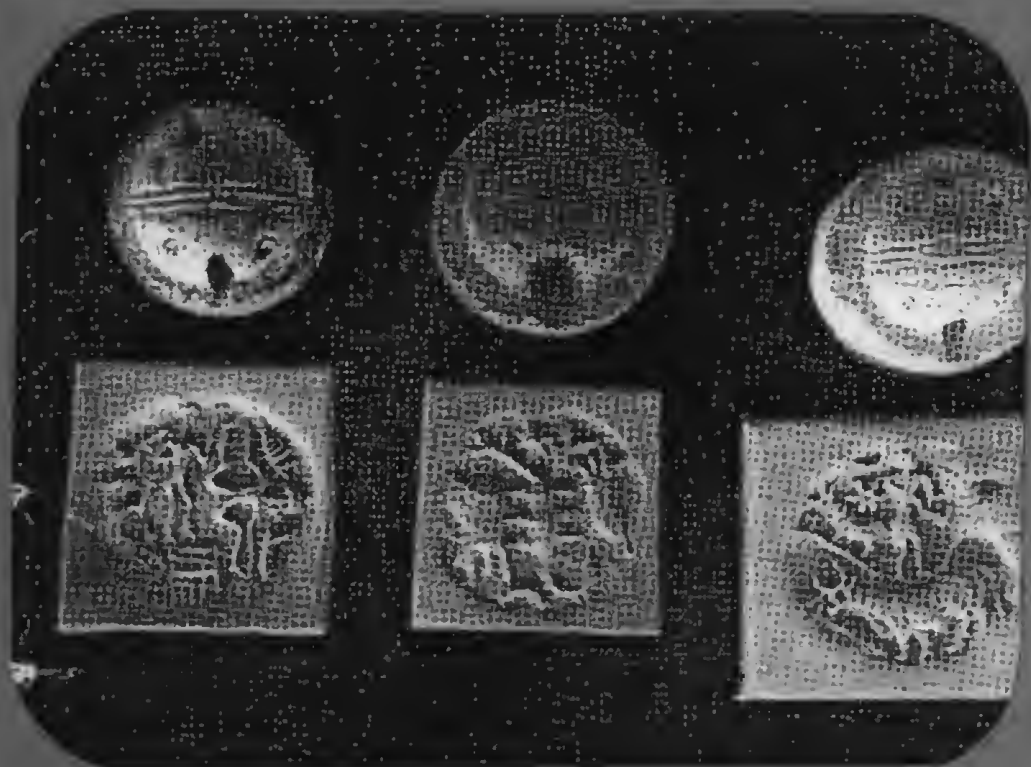


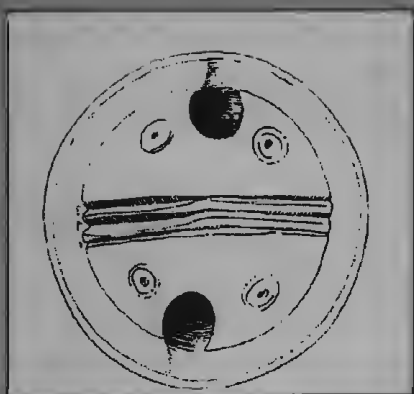
# الشيخ، م. إ. م. الصدوق، س. د. م.

إن الإنسان بطبعه مقلد للطبيعة، قلد الطبيعة فزرع  
البذور كي يتوفر له الغذاء على مدار السنة وبذلك توصل إلى  
الثورة الزراعية، وتوصل إلى معرفة النار والتحكم فيها  
وكان المصدر الطبيعي الذي استوحاه هو الشمس، ولو طرحنا  
مثل هذا السؤال : ما هي المصادر الطبيعية التي استوحاها  
الإنسان للدلالة على ملكيته الشخصية قبل اختراع الكتابة  
؟ إن الجواب يأخذنا رأساً إلى الأختام، ولكن ما هي المصادر  
الطبيعية التي قلدها الإنسان للحصول على هذه الأختام ؟  
إنها في رأي الأصداف .

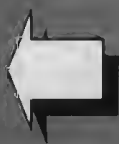
في عام ١٩٧٧ م . قامت إدارة الآثار والمتاحف في  
البحرين بالاشتراك مع بعثة الآثار العربية الموفدة من قبل  
جامعة الدول العربية بالتنقيب في موقع مدافن سار - طريق  
الجسر بين المملكة العربية السعودية والبحرين . في القبر  
رقم ١١٦ عثرنا على أحد هذه الأختام الصدفية ولكنه صنف  
كحلية من الأصداف .



بقلم : الشيخة هيا بنت علي بن عبد الله آل خليفة



( الوثيقة ٤١ )



في الموسم التالي عثرت بعثة الآثار العربية في موقع مدافن (سار) على أختام صدفية حفرت عليها مواضيع مختلفة بالإضافة إلى الشكل الحلزوني الطبيعي وبذلك تأكدت لنا هويتها . وبالرجوع إلى ما بحوزة إدارة الآثار والمتاحف من أصداف تم العثور عليها من تنقيبات سابقة في قبور (الحجر) تبين أن بعضها صنف كـ (حلية من الأصداف) والبعض الآخر كـ (تقليد لأختام ديلمون) . بعد ذلك توالى اكتشاف مثل هذه الأختام من مدافن في مواقع أخرى مثل المقشع - كرزكان - سار<sup>(١)</sup> - مدينة عيسى - مدينة حمد - حتى بلغ عددها تسعة وعشرين ختماً، وإذا أضفنا لها خاتمين من مدافن عالي (حفريات البعثة الدنماركية<sup>(٢)</sup>)، وخاتماً واحداً من حفريات أم جدر (البعثة الفرنسية<sup>(٣)</sup>) يصبح عدد ما هو معروف منها اثنين وثلاثين ختماً، هذا بالإضافة إلى ثلاثة لم نتأكد من هويتها وسيأتي ذكرها بالتفصيل فيما بعد، وتم استبعاد الأشكال الصدفية الأخرى التي تشبه هذه الأختام مع وجود ثقب طولي واحد نافذ في أعلاها، على اعتبار أنها حلي صدفية وليست أختاماً، عثر على مجموعة منها في بعض المدافن التي ذكرتها سابقاً وكذلك عثر كلوزيو في مدافن هيلي على أربعة منها<sup>(٤)</sup> .

لقد وفق الصانع في اختيار أصداف من عائلة Conidae لصناعة أختامه فهي تتميز بتعددتها وبجمالها الفريد الملفت للنظر وألوانها البراقة ونعومة سطحها الأملس وحجم وسبك قاعدتها، هذا بالإضافة إلى الشكل الحلزوني الداخلي ذي الأطراف الحادة والذي يحصل عليه صانع الختم في قاعدة الصدفة من الداخل عندما يتم نشرها بدقة ليصبح صالحاً للاستخدام كختم، كما وفرت له الطبيعة زخرفة أخرى على ظهر الختم هي عبارة عن شكل حلزوني آخر يكون بارزاً على بعض الأصداف ومختفياً على بعضها الآخر، وأضاف الصانع إلى ظهر الختم ثقب التعليق الأفقي أو ثقبين بشكل طولي نافذ . أما أنواع الأصداف التي استعملها الصانع من هذه العائلة فمن المحتمل أن تكون<sup>(٥)</sup> :

- 1 - Conus Generalis Maldivus.
- 2 - Conus Virgo.
- 3 - Conus Flavids.
- 4 - Conus Terebera Thomasi.

بما أنه يصعب حالياً تصنيف هذه الأختام تصنيفاً منهجياً تبعاً لتسلسلها الزمني لذلك قمت بمحاولة لتصنيفها على حسب تطور أسلوب الزخارف المنحوتة على وجه الختم وظهره وعلى هذا تم تقسيمها إلى مجموعتين . المجموعة الأولى تنقسم إلى فئتين والمجموعة الثانية تنقسم إلى ثلاث فئات . إن هذا التصنيف ليس قاطعاً وإنما هو الخطوة الأولى التي ستقودنا للتعرف عليها، ومستقبلاً ربما يتم نقل ختم من فئة إلى أخرى أو نقل مجموعة من هذه الأختام لتأتي بعد أخرى أو سابقة لها .  
ولاشك أن التنقيبات الأثرية الجارية الآن في تلال المدافن ستطرح المزيد مما سيمدنا بمعلومات أوفر عن التميزات النمطية لهذه الأختام .  
صنفت المجموعة الأولى إلى فئتين :

### خصائص الفئة الأولى :

قام الصانع بنشر الصدفة إلى ما قبل القاعدة بقليل حيث يختلف السمك من صدفة إلى أخرى، ثم صقل وجه وظهر وجوانب الصدفة على أحجار ملساء وبذلك ظهر وجه الختم وعليه الشكل الحلزوني منحوتاً نحتاً طبيعياً . وقد لاحظ الصانع بذكائه الفطري أن هذا الشكل الحلزوني الطبيعي يختلف في تفاصيله الدقيقة من صدفة إلى أخرى، هذه السمة المميزة هي التي جعلته يختار هذا النوع من الأصداف بالذات لاستخدامها في صناعة الأختام، كما لاحظ الصانع أيضاً أنه أحياناً توجد طبقة طبيعية لامعة تشبه الطلاء تغطي وجه الختم كله بما في ذلك الشكل الحلزوني الداخلي حيث تبرز أطراف حوافه الحادة وتحفظها من التلف عند الاستعمال .

### حافة الختم :

قام الصانع بحك وسحن حافة الختم الجانبية إلى أن تأخذ شكلها الدائري المطلوب ولكن هناك تفاصيل دقيقة يستحسن ذكرها : يختلف سمك الحافة الجانبية من ختم إلى آخر وليس شرطاً أن يكون ذلك تبعاً لحجم الصدفة فبعض الأختام الكبيرة حوافها الجانبية صغيرة الحجم وبعض الأختام الصغيرة حوافها الجانبية كبيرة الحجم .

إن نهاية الحافة الجانبية القريبة من وجه الختم تكون أحياناً مائلة إلى الداخل أو الخارج أو مستقيمة من أعلى إلى أسفل، أو تكون منحنية أحياناً في وسط الحافة الجانبية على شكل أخدود أو على شكل قوسين معكوسين باتجاه الخارج .  
إن هذه الاختلافات في الحافة الجانبية للأختام الصدفية لها ما يشابهها في أختام الكلورايت .

### ظهر الختم :

يختلف ظهر الختم الصدفى على حسب نوع الصدفة المستخدمة لعمل الختم، وحسب ما أضافه لها الصانع من تعديلات بواسطة سحنها على الأحجار الملساء حتى تكتسب الشكل المطلوب لذلك ظهرت لدينا عدة فئات من ظهر الختم الصدفى نوجز فيما يلي وصف بعض منها :

### الفئة الأولى :

يتألف ظهر الختم الصدفى لهذه الفئة من نصف دائرة تغطي ظهر الختم كله وترتفع قليلاً من الحافة إلى نقطة الوسط ويكون ظهر الختم مزخرفاً بشكل حلزوني طبيعي مختلف غير بارز ينتهي عند القمة على شكل دائرة على جانبيها ثقبان طوليان نافذان .

### الفئة الثانية :

يتألف ظهر الختم الصدفى لهذه الفئة من قبة هرمية الشكل تغطي ظهر الختم كله وتنتهي عند القمة برأس حاد يثقب بشكل أفقي هذا الرأس عليه زخرفة طبيعية بارزة وغالباً ما يكون هذا الرأس مفقوداً .

### الفئة الثالثة :

يتألف ظهر الختم الصدفى لهذه الفئة من حذبة صغيرة في الوسط مسطحة أحياناً وعلى شكل نصف دائرة أحياناً أخرى ثقت أفقياً من كلا الجانبين وفي حالة واحدة يوجد ثقبان أفقيان متعاكسان .

### الفئة الرابعة :

يتألف ظهر الختم الصديقي لهذه الفئة من شكل هرمي صغير في الوسط يبتعد عن الحافة الجانبية عدة مليمترات ، قاعدته مثقوبة أفقياً ورأسه مرتفع بشكل حاد .

### الفئة الخامسة :

ظهر الختم الصديقي لهذه الفئة مسطح تماماً على شكل قرص يوجد به ثقبان طوليان نافذان .

عدد أختام هذه المجموعة الموجودة لدى الإدارة سبعة عشر ختماً .

## خصائص الفئة الثانية :

اختار الصانع أصدافاً صغيرة أقل حجماً من الفئة الأولى واستعمل نفس الطريقة السابقة لإعداد الصدفة كختم ، فوجه الختم ظهر به الشكل الحلزوني الطبيعي بارزاً أطرافه حادة ، أما الحافة الجانبية فمستديرة قليلة السمك بها ثقبان أفقيان وظهر الختم مسطح يرتفع قليلاً عند القمة ، وربما كان لهذه الصدفة رأس حاد قطع حتى ظهر الشكل الحلزوني الداخلي على شكل دائرة صغيرة في وسط ظهر الختم من أعلى ونحتت أربع حفر نحتاً غائراً يحيط بها أربع دوائر في كل زاوية دائرة ويحيط بهذه الدوائر إطار مكون من نقط محفورة على شكل عقد من اللؤلؤ .

وبما أنه لا يوجد غير ثلاثة أختام فقط من هذه الفئة لذا يصعب الحكم على طبيعتها ، فربما كان هذا هو التصنيف المناسب لها أو أنها تمثل آخر مرحلة من مراحل الختم الصديقي ويحتمل عدم تصنيفها كأختام صدفية واعتبارها حلية للأذن أو جزءاً من قلادة ، ومما يرجح ذلك العثور على اثنين منها في قبر واحد .

## المجموعة الثانية :

تنقسم هذه المجموعة من ناحية أسلوب النحت إلى ثلاث فئات .





أختام دلمونية ٢٣٠٠ ق. م



## الفئة الأولى :

ظهر الختم وحوافه تطابق تماماً الفئة الأولى من المجموعة الأولى، أما الوجه فقام الصانع بترك جزء بسيط من الشكل الحلزوني الطبيعي في وسط الختم والباقي عبارة عن مساحة مسطحة بذل الصانع مجهوداً في حفر مواضيع بسيطة غير معقدة، فمثلاً خطوط تمتد من الشكل الحلزوني إلى حافة الختم تقريباً تشبه أشعة الشمس وفي ختم آخر حفرت عشر حفر غائرة تحيط بالشكل الحلزوني، أما النموذج التالي فقد ظهرت عليه ست حفر غائرة وجمعت الأربع حفر الباقية لتشكيل حيواناً له أربعة أرجل .

## الفئة الثانية :

هي تقريباً نفس تفصيلات الفئة الأولى غير أنه حفر على الوجه اثنين أو ثلاثة حيوانات أحدها مقلوب رأساً على عقب، حفرت أجسام هذه الحيوانات على شكل كرات متقاربة والأيدي والأرجل والقرون على شكل خطوط مستقيمة إلا أنه من الصعب تحديد نوع هذه الحيوانات أما موضوع الختم فإن له استمرارية في أختام الكلورايت مع الفارق في أسلوب النحت .  
عدد أختام هذه الفئة أربعة .

## الفئة الثالثة :

أختام هذه الفئة تمثل قمة الجودة الفنية للأختام الصدفية، حجمها إما كبير أو متوسط، الظهر له قبة نصف دائرية أو مسطحة مثقوبة أفقياً والحافة الجانبية مائلة للخارج أما الوجه فقام الصانع باستخدام الجزء الأوسط فقط من الشكل الحلزوني الطبيعي كموضوع رئيسي للختم كما استخدم طريقة الكرات المتقاربة التي شكل منها أجسام الحيوانات، ففي الختم رقم (٢٣) بالإضافة للشكل الحلزوني الطبيعي يوجد حيوانان اتجاهاهما متعاكس بينهما حفرة ربما تمثل القمر الكامل كما يوجد هلال وشمس أو نجم ساطع وثلاث حفر قد تمثل ثلاثة نجوم .

الختم (٢٩) هناك خطوط تخرج من الشكل الحلزوني الطبيعي ربما تمثل أشعة الشمس وثلاثة حيوانات أحدها رأساً على عقب .  
الختم رقم (١) تخرج من الشكل الحلزوني الطبيعي ستة خطوط أفقية أسقط عليها خطاً عمودياً ثم حيوان وشمس أو نجم ساطع .  
الختم رقم (١٥) بذل الصانع جهداً واضحاً في نحت هذا الختم فأضافه للشكل الحلزوني الطبيعي الذي تخرج منه خطوط أفقية يقطعها خط عمودي نجد نحتاً لحيوان نرجح أنه لغزال له قرنن طويلان توجد أمامه حفرة ربما تمثل القمر الكامل .  
إن التكامل الفني الذي ظهرت به أختام الكلورايت المنبسطة الدائرية قد سبقه هذا التدرج والتطور في الأختام الصدفية على الرغم من وجود تشابه عام واستمرارية لمواضيع الأختام الصدفية في أختام الكلورايت .

## المناقشة :

■ لم يتم العثور إلى الآن على الأختام الصدفية في المستوطنات أو المعابد وإنما عثر عليها في المدافن فقط . كما أنه لم يعثر عليها في المدينة الأولى ولا في الطبقات التي تحتها مما يرجح أنها تعود لفترة سابقة لها .  
■ عثر على الأختام الصدفية في أنواع متعددة من المدافن، مثلاً مدافن مدينة حمد القريبة الشبه بمدافن أم النار وهيلي - مدافن منطقة (B.S) في مدينة حمد والتي اعتبرت فترة انتقالية بين المدافن السابقة ومدافن فترة باربار الفردية في سار - مدينة حمد - مدينة عيسى - عالي، أم جدر كرزكان - المدافن المتشابكة في سار ومدافن الحجر والمقشع المنحوتة في الصخر الطبيعي على شكل سراديب والتي أعيد استعمال غرفة الدفن فيها لعدة فترات تاريخية مختلفة، فهل يعني ذلك استمرارية استعمال هذه الأختام الصدفية لمدة طويلة من الزمن ؟ أم أنه أعيد استعمالها والاحتفاظ بها في فترات متأخرة عن فترة استخدامها .  
■ عثر على هذه الأختام في غرف الدفن لمدافن عُثبت بها أو مدافن أعيد استعمالها لذلك يصعب الجزم بتحديد تاريخها أو حتى مقارنتها بمحتويات المدافن من اللقى الأثرية التي وجدت معها كالفخار مثلاً، كما أنه ليس من السهل تجاهل

المقارنات لعناصر الأختام الصدفية سواء الطبيعية منها أو التي أضافها الإنسان وذلك لاستنتاج تطور زمني في أسلوب الحفر الموجود عليها .

■ استعمل الصانع المزرف ذي الرأس المحدث في حفر الأختام الصدفية لذلك ظهرت الحيوانات محورة ومجردة عن الشكل الطبيعي فهي مؤلفة من كرات متراسة متصلة ببعضها البعض، هذا الأسلوب الفني كان شائعاً في ثقافات الشرق الأدنى المبكرة مثل (جمدة نص) .

■ ربما وجد الصانع أن التفصيلات الطبيعية المنحوتة على الختم الصدي لا تفي بالغرض المطلوب لتحديد الملكية الشخصية نظراً لمحدودية زخارفها الطبيعية وزيادة الطلب عليها ربما بسبب التوسع في التجارة الإقليمية المتداخلة للمسافات القصيرة ويحتمل الطويلة أيضاً، لذلك قام الصانع بإضافة مواضيع أخرى استمدّها من الطبيعة والمعتقد .

■ قد تمثل هذه النقوش مشاهد دينية أو رموزاً قبلية أي ما يسمى عند البدو (بالوسم) الذي استعملوه هم أيضاً للدلالة على الملكية الخاصة .

■ ربما أوحى الشكل الحلزوني لصانع الفخار باستخدامه في تزيين فخار فترة بارباري الحلقات الدائرية البارزة والمختفية .

■ نلاحظ أن صانع الختم الصدي اتخذ من الشكل الحلزوني الطبيعي الذي يتوسط الجزء الداخلي من الصدفة موضوعاً رئيسياً للختم ثم أضاف له فيما بعد مواضيع أخرى مختلفة . نفس هذه الظاهرة نجدها في بعض أختام الكلورايت المنبسطة الدائرية حيث اختار الصانع مواضيع رئيسية نحتها في وسط الختم وأحاطها بمواضيع أخرى جانبية .

■ اختار صانع الأختام الصدفية الأشكال الحيوانية والأجرام السماوية لنقشها على هذه الأختام واستبعد الكائنات البشرية .

■ من الملاحظ أيضاً أن نقش حيوانين أو ثلاثة أحدها مقلوبا رأساً على عقب (وعول - بقر - ثيران - ماعز - غزلان) له استمرارية أيضاً في أختام الكلورايت المنبسطة الدائرية والأمثلة على ذلك كثيرة نورد منها ختماً من فيلكة<sup>(١)</sup> وختمين من سار<sup>(٢)</sup> أختام ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٤ ، ٣٤٠ - متحف البحرين الوطني . والشواهد على هذه الاستمرارية متعددة . فمثلاً ثمان أو عشرة نجوم منقوشة بشكل دائري،

ورسم العجلة الدوارة على شكل رءوس غزلان ربما تمثل الجهات الأصلية والفرعية أو شمس أشعتها على شكل رءوس غزلان .

■ اختار المصانع بعض العناصر الخاصة لحفرها على الأختام الصدفية مثل الهلال، الكرات أو الحفر التي ربما تمثل النجوم، الشكل الحلزوني الذي ربما يمثل المجرة أو الشمس، ولا أستبعد أن تكون الغزالة رمزاً للشمس إذ أننا كنا ومازلنا في اللغة العربية نكني عن الشمس بالغزالة، كما أنه تأكد لنا من خلال التنقيب في تلال المدافن الأثرية أنه كانت لأصحابها عقيدة شمسية واضحة بحيث أنهم كانوا باستمرار يحاولون أن يجعلوا قبورهم تتجه ناحية — شرق غرب مع انحرافات بسيطة نحو شمال شرق أو جنوب شرق حسب انحراف الشمس في بعض فصول السنة، وبذلك أمكننا تحديد الفصل الذي بني فيه كل مدفن . بل إن بعض المدافن صممت على شكل شمس لها أشعة (مدينة حمد : B.S مدفن رقم ١٦٨٤)<sup>(٨)</sup> لذلك لعبت الأجرام السماوية بصفة عامة والشمس بصفة خاصة دوراً رئيسياً في حياة أصحاب هذه الأختام وأمدتنا بفكرة لا بأس بها عن المواضيع والأفكار التي كانت تشغل بالهم .

ويخطئ من ينسب الفكر الديني لهذه المنطقة إلى الفكر الديني لبلاد ما بين النهرين إذ أن هذه الشواهد الأثرية تشير جميعها إلى مجتمع محلي يسير نحو استقلالية فكرية خاصة أملت عليها قدراته الذاتية وتطور ظروفه .

## الخلاصة :

إن دراسة الأختام الصدفية التي وجدت في مدافن البحرين ستلقي الضوء على التطور التاريخي والفني للأختام في البحرين بصفة خاصة، وفي منطقة الشرق الأوسط في الفترات القديمة بصفة عامة، حيث يرجح أن تكون هذه المنطقة واحدة من أهم مراكز إنتاج الأختام .

وإذا افترضنا بأن هذه الأختام الصدفية هي المصدر والأساس لأختام الكلورايت المنبسطة الدائرية التي تتشابه بعض من عناصر مواضيعها مع أختام وادي الرافدين أو وادي السند أو سوريا وكيدوكيا أو حتى الجعارين المصرية . إذن فإن نقوش الأختام

الصدفية تمثل الصفة المميزة لأصحابها قبل تأثر منطقتهم بمؤثرات خارجية . هذه المخلفات الأثرية تشير إلى مجتمع محلي سار في طريق التطور معتمداً على ظروفه وتطور قدراته الذاتية وخاصة تطور خطوط التجارة البحرية القديمة . كما أن خصائص مواضيع الأختام الصدفية وأسلوب تنفيذها واختيار الأصداف المناسبة المتوفرة في البيئة الخليجية قد نجحت إلى حد ما في تكوين شخصية فنية وفكرية ذات طابع مستقل . أرجو أن أكون قد وفقت إلى إلقاء الضوء على أهمية دراسة فن النحت على الأصداف ليعامل كفن قائم بذاته كي يأخذ مكانته المميزة بين الفنون القديمة ، بل ربما كان هو الأصول الأولى للفن بشكل عام ، الذي استوحى منه الإنسان الشكل والنحت والنقش .

الشيخة هيا بنت علي بن عبد الله آل خليفة  
وكيل وزارة مساعد للثقافة والتراث الوطني

## BIBLIOGRAPHY

- 1 – Ibrahim, M., 1982 : Excavations of The Arab Expedition at Sar El-Jisr, Bahrain 157 No. 1-4.
- 2 – Bibby, T.G., 1964: Arabian Archaeology, Kuml.107.
- 3 – Cleuziou, S.: Fouilles A. Umm Jidr (Bahrain) Edition A.D.P.F.; Paris 27-28.
- 4 – Cleuziou, S., P. Lombard, J.F. Salles. 1977/79: The French Archeological Mission 1976/77, Archaeology in the United Arab Emirates. Vol. II and III, Department of Antiquities and Tourism Al-Ain. (Arab edition). (fig. 17:1).
- 5 – Bosch, D & E, 1982, Seashells of Oman, 127, 129-130.
- 6 – Kjaerum, P. 1980, The Stamp and Cylinder Seals, (Failaka), Journal of Archaeological Society, Denmark publication XVII, Vol. II 1983, P. 123, No. 294.
- 7a – Ibrahim, M., 1982. Excavations of the Arab Expedition at Sar Al-Jisr.
- 7b – Mughal, M.R., 1983. The Dilmun Burial Complex at Sar, 1980-82, No. 3, Directorate of Archaeology & Museums (Bahrain).
- 8 – Directorate of Antiquities and Museums, 1981/3, Unpublished report from Hamad Town, (Bahrain), Directorate of Antiquities and Museums.